٥٩/٤/١/٤٨

المعرفة

مجلة ثقافية شهرية

تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي

السنة الرابعة

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٣٧٩٤
التاريخ ٢١/ ١٠/ ٢٠٠٨

العدد الثامن والأربعون — رئيس التحرير فؤاد الشايب

كارل بروكلمان

شخصيّته ومنجزاته

بقلم المستشرق غونتر كرال

Günther Krahl
الأستاذ في جامعة لايبزغ

في عام ١٩٥١ منحت جمهورية ألمانيا الديموقراطية جائزة الدولة من الدرجة الاولى – وهي أرفع تقدير يمكن أن يمنحه هذا البلد – لبحاثة ارتبط اسمه بشكل لاينفصم بعلم الاستشراق ، ودفع من خلال مؤلفاتـــه الأساسية طيلة نصف قرن علم الاستشراق خطوة هائلة الى الامام ، ومهر بميسمه قسطاً لايستهان به من مبادىء هذا العمل وتمتع بتقدير جليل في البلدان العربية . هـذا الرجل العالم البحاثـة هو « كارل بروكلمان » .

وفي هذا البحث نود أن نبعث في خيالناصورة ذلك الرجل العظيم ونسعى لإحياء ذكراه التي أخذت بالشحوب بعدما يقارب عشر سنوات على وفاته .

ولد كارل بروكلمان في عام ١٨٦٨ في روستوك ، أي قبل قرن من الزمن تقريباً. وترعرع في بيت والديه ، في أسرة مرموقة . واستيقظ فيه الاهتمام بالشؤون الأدبية والمواضيع العلمية بصورة مبكرة . وقد غذت والدته هذا الميل فيه كما لقي توجيها صحيحاً من قبل معلميه في المدرسة الثانوية في مدينة « روستوك » ، وبرزت موهبته اللغوية الفذة منذ ذلك الوقت ومكنته من اتقان عدة لغات سامية كالعبرية والآراميـة والسريانية .

كان بروكلمان في الثامنة عشرة من عمره عندما التحق بجامعة « روستوك » . وتمكن بجانب دراسته الجامعية من اتقـان العربية والأثيوبية بالاضافة الى فقه اللغة والتاريخ الكلاسيكيين . أما معارفه العامة فقد عمقها في جامعة « برسلاو » حيث كان « فرانس بريتوريس » في عداد معلميه وبعدها توجه الى مدينة « ستراسبورغ » قاصداً « تيودور نلدكي » ، أشهر مستشرق الماني في ذلك العهد ، فدرس هناك الى جانب اللغات السامية اللغة المصرية والأرمنية والسنسكريتية .

وتقدم وهو في الثانية والعشرين من العمر بأطروحة لنيل الدكتوراه ، عالج فيها صلة كتاب (الكامل) لابن الاثير بـ (اخبار الرسل والملوك) للطبري . وعاد بعد ان قضى فترة في التعليم الثانوي في « ستراسبورغ » الى مدينة « برسلاو » حيث قدم اطروحة الاستاذية في جامعتها . وعالج في هذه الاطروحة كتاب ابن الجوزي (تلقيح فهوم الآثار في مختصر السير والاخبار) . وانتظر ثماني سنوات حتى سمي استاذا في الجامعة في عام ١٩٠٠ . وبعد ان قضى ثلاث سنوات فيها انتقل من « برسلاو » الى « كونغزبرغ » حيث بقي ست سنوات قبل تلبية دعوة جامعة هاله للعمل فيها . وكان يأمل بأن تتوافر له ظروف عمل افضل بسبب وجود مكتبة (الجمعية الالمانية لشؤون الشرق) الغنية في هذه المدينة .

وبقي امينا لعمله في جامعة « هاله » من عام ١٩٠٩ حتى عام ١٩٢٢ . وفي سنتي ١٩١٨—١٩١٩ كان الرئيس الموجه لها . وبعد ان تسنم كرسي تعليم اللغة العربية في جامعة برلين لمدة سنة واحدة رجع مجددا لجامعته القديمة « برسلاو » حيث بقي فيها حتى اعفائه من منصبه في عام ١٩٣٥ . وبذلك انهى بروكلمان حياته الجامعية فانتقل الى هاله ليتابع جهوده العلمية بصورة خاصة . وعندما يتأمل المرء ثمار مايقارب النصف قرن من حياته الغنية بنداح امامه فيض من الكتب والمقـالات والمواضيع العلمية . فمنذ عام ١٨٩٥ صدرت موسوعته السريانية التي ضمنها كل ماجمعه من مواد منذ بدء نشاطاته العلمية ، وفي نفس الوقت تقريبا امكنه القيام بجولته الاولى الواسعة . فبغيـة دراسة

المخطوطات سافر الى لندن بادىء ذي بـدء وانتقل بعدها الى استنبول ، حيث قضى فيها وقتا طويلا ، اطلع خلاله ولاول مرة على اللغة التركية ، واحتك بالثقافة الإسلامية التي حظيت بعنايته حتى اواخر سني حياته .

وبعد موسوعته السريانيـــة صدر مؤلفه (تاريخ الادب العربي) ، وذلك مع انتهاء القرن الماضي وبداية القرن الحـــالي . وكان هذا السفر الجليل اساسا في شهرته العالمية واصبح مرجعاً لكل عالم مختص في هـــذا المجـــال . في هذا الكتاب سجل بروكلمان جميع انواع الخطوط العربية حتى ذلك الحين وعدد كل المخطوطات العربية الموجودة في جميع مكاتب العالم ودون عدد طباعاتها واعطى لمحات عن حياة مؤلفيها . ومثل هذا الابداع كان وقفا على رجـــل يتمتع بذاكرة تحفظ كل ماتقرأ وتستطيع سبكه في كل متكامل مفيد . ولم تنقص قيمة هذا المؤلف الفريد تلك الهفوات التي كان من البديهي ان تتسرب اثناء اول تنسيق وتدوين لمخطوطات عربية مطموسة . واصدر بروكلمان في نهاية الثلاثينيات ملحقين لكتابه (تاريخ الادب العربي) ضمنهما تنقيحاته التي جمعها خلال سني حياته الجامعية ودراساته اللاحقة ، واصدرهما عن دار نشر ي . ج . بريل ، التى استطاعت بعد مفاوضات دامت سنين طويلة ان تحصل على حقوق نشر مؤلفه بروكلمان من ورثة الناشر الاول لكتابه . وعالج في ملحق ثالث الادب العربي المعاصر ، مشيرا بدقة فائقة لكافة المؤلفين المحدثين واعمالهم . ولقد تدخلت دار النشر غير مرة اثناء انكبابه على البحث والتدوين ، راجيـــة اياه انهاء مؤلفه الذي فاق بالحجم ما اتفق عليه .

ان كل من اطلع على هذا العمل الضخم يقدر نكران الذات الذي تطلبه انهاء هذا المؤلف . كانت فائدة بروكلمان المادية من هذا المؤلف ضئيلة جدا كما هو معهود في العمل العلمي ، في الوقت الذي كان المكسب العلمي منه لاجيـــال من المستعربين ضخما جدا . فلم يتجاوز ما اخذه بروكلمان لملحقه باجزائه الثلاثة ١٠٠٠ فلورين هولندي . وفي احدى رسائله التي كتبها بعد سنوات من ذلك اشتكى من الناشرين الذين ينظرون الى منفعتهم المادية من المؤلف لا الى الفائدة العلمية التي يقدمها هذا المؤلف .

ولم تقف مساهمة بروكلمان في علم الاستعراب عند كتابه هذا بحال من الاحوال . فالى جانب اطروحتيه للدكتوراه واستاذية الجامعة نذكر كتابه (قواعد اللغة العربية) . لقد كان هذا الكتاب في الاصل تنقيحا لكتاب القواعد الذي وضعه سوسين ، ولكنه اصبح تحت يدي بروكلمان مؤلفا معتبرا اعيد طبعه خمس عشرة مرة ، ومن ثم اصداره لكتاب (عيون الاخبار) لابن قتيبة وديوان لبيد ومشاركته باصدار « كتاب الطبقات » لابن سعد وتنقيحه لكتاب (الوفا في فضائل المصطفى) لابن الجوزي

استنادا الى مخطوطة « ايدن » . واضاف لذلك خمسة وعشرين موضوعا في علم الاستعراب : ويوضح اهتمامه الخاص في هذا المجال كتـابته لاكثر من ـ ١٤٠ ـ بحثا ادبيا ، حول مؤلفات علم الاستعراب . ولم يكتف في هذه الابحاث بنقد هذه المؤلفات وعرض محتواها ، بل تناول بعض قضايا الاستشراق وعالجها على طريقته الخاصة واضعا الحلول الصحيحة لها . وكمثال على ذلك يمكن ان نسوق مناقشته لمؤلف ركندورف (العلاقات النحوية في العربية) والتي يبدو فيها بوضوح تطور وضع فيه قواعد خاصة به . في هذا البحث استطاع ان يدعم اقواله واقتراحاته بالشعر والنثر العربيين مما يبين سعة اطلاعه على مكنونات اللغة العربية ومخطوطاتهـا . وقد الم بروكلمان باللهجات العربية حسب ماتدل عليه ابحاثه المختلفة . ولكن لم تنجز بعد دراسات معمقة تقرر هذا الموضوع بوضوح تام .

ان المجال الثـــاني الذي قدم فيه بروكلمان اشياء جوهرية بعد علم الاستعراب هو علم اللغات السامية . بعد أن أمضى عقدين من حياته بحثاً في العربية والسريانية ولغات سامية اخرى ، شرع في تأليف كتـــابه (الوجيز في القواعد المقارنة للغات السامية) . وقدم فيه مادة واسعة تتعلق بتطوير كافة اللغات السامية ، وضمنه تاريخ تطور الاشتقاق والنحو في هذه اللغـات وقارن بينها . ويعتبر هذا الكتاب مرجعـاً اساسياً في علوم السامية برغم ان نتائج الابحـاث الجديدة تخطت بعض الموضوعات المقررة فيه . ان علوم سورية القديمة مدينة الى بروكلمان ولموسوعته السريانية التي صدرت طبعتها الثانية بضعف حجمها في نهاية العشرينيات ، ومدينة لكتاب (قواعد اللغة السريانية) الذي يحمل صيغة علمية بحتة ، دون ان يتأثر بالمتطلبات العملية مثله في ذلك مثل كتاب (قواعد اللغة العربية) .

كذلك اولى بروكلمان اللغـة التركية اهتمامه منذ ان بدأ بدراسة لغات وثقافات الشرق ، تلك اللغة التي اعتبرها غالبيـــة المستشرقين فى القرن الماضي دراسة ثانوية بالنسبة لدراسة اللغة العربية واللغة الفارسية . ولم يتتلمذ بروكلمان على يد احد في هذا المجال ، بل كان ذلك نتـــائج دراسته الخاصة . ووضع بروكلمان نصب عينيه دراسة اللغات الادبية لاتراك آسيا الوسطى منذ دخولهم الاسلام . ومثل هذه المهمة كانت تحتاج الى بحاثة جمع بين عمق المعرفة واتساع الاطـلاع في مجالي التركية والعربيـة . وخاض بروكلمان مضماراً لم يسبقه احد اليه من قبل ، وجعله مفتوحا سهل المنال لعلماء اللغة التركية وخاصة غير المتمرسين منهم باللغة العربية ، اذ نقـــح الكتاب العربي (ديوان لقط الترك) لمحمود الكشغري الذي عثر عليه وصدر أيام الحرب العالمية الاولى . والى جانب المواضيع العديدة التي كتبها بروكلمان حول النحو وعلم الشعوب في كتـــاب الكشغري ، اصبح كتابه (مكنونات الكلام لأتراك آسيا الوسطى عن ديوان لغط الترك لمحمود الكشغري)

واحداً من اهم المراجع للبحاثة في العلوم التركية وهذا الكتاب هو ترجمـــة وتوضيح للمفردات التركية في كتاب الكشغري . واصدر وهو في الثالثة والثمانين كتابه (النحو التركي الشـــرقي للغات الادب الاسلامي في آسيا الوسطى) وهذا الكتاب ثمرة ناضجة للبحث المنهجي الذي اجراه بروكلمان على جميع المواد اللغوية لمتكلمي اللغـــة التركية في المنطقة الشاسعة الممتدة بين قازان والصين . وكما هو الحال في تاريخ الادب العربي نجد انفسنا في حقل دراسة اللغـة التركية أيضاً مدينين بالكثير لبروكلمان الذي سلط النور على صفحة طالما طمسها الظلام .

لقد كان بروكلمان طوال حياته فقيهاً لغوياً . وكان لايقتصر على اتبـاع الحرف بشكل جامد ، او الاهتمام باللغة كلغة كما يظن خطـــأ نفر ممن لايلمون بهذا المجال ، بل كان يعتقد بان لمفهوم الفقه اللغوي آفاقاً ومجـــالات اوسع . وبهذا المعنى قال في خطاب القاه بمنـاسبة تسلمه منصب رئاسة جامعة برسلاو : **« انناتلقي على عاتق فقه اللغة كما فعل المتضلعون دائماً ، كشف وتبين تراث الشعوب في شتى المجـــالات الفكرية والادبية »** .

ان اعمـــال بروكلمان المتعلقـــة بمواضيع التاريخ الحديث والمعاصر والاسلام هي تأكيد لهذا الرأي . ويرجع تاريخ البدء بأبحاثه في هذا المجال الى عام — ١٨٩٢ — عندما ذهب الى برســلاو وتقدم باطروحة الاستاذية لجامعتها . وفي نفس العام استلم تحرير قسم « الاسلام » في مجلة (حوليات العلوم التاريخيـة) ، ولمح في هذا القسم لأهم المراجع التي صدرت اذ ذاك حول مواضيع تاريخية وعلوم اســـلامية . ومنذ ذلك الحين برهن على انه خبير في هذه المادة ، وعقب بخبرة فائقة على كل ماصدر من ادبيـات مختلفة تعالج الاسلام والمنطقة الاســلامية من اسبانية والمغرب حتى الصين . وقد عالج واوضح جميع الكتب الحديثة التي ظهرت في هذا سواء اكانت باللغة العربية أوالالمانية أم باللغات الاجنبية الاخرى وخاصة ماصدر منها في البلدان الاوروبيـة . لقد بدأ اهتمامه وعمله بأمور التاريخ المعاصر في تلك المرحلة من الزمن ، ونال هذا النوع من الدراسة عنايته وحدبه المتواصلين . ولكن ثمار هذا العمل لم تنضج الا فيما بعد عندما اصـــدر عام — ١٩١٩ — كتـــابه (تاريخ الشعوب والدول الاسلاميـة) . وقد خصص في هذا الكتاب فصولا واسعة للحديث عن الاسلام في القرن التاسع عشر والانظمة الحديثـــة للدول الاسلامية بعد الحرب العالمية الاولى ، وذلك الى جانب معالجته لعصري النهضة والانحطاط للمملكة الاسلامية والمملكة العثمانيـة . وكان متحفظاً في رأيه حول التطور المعاصر . وقد كتب في مقدمة كتابه هذا : **« انه لمن الجرأة بمكان أن يكتب المرء عن التطور السياسي العارم الجاري حالياً في الشرق الأدنى الذي ينفض عن كاهله كابوس الضغط الاوربي. وانني وإن كنت قد حرصت على التزام التحفظ في بعض الأحيان فان أصدقائي**

في الشرق يعرفون حق المعرفة العواطف التي أتتبع بها مطامحهم » .

وترتدي ملاحظته الاخيرة هذه أهمية كبرى بالنسبة لنا . فبعد أن كان متحفظا قبل ثلاثين عاما ومع مطلع هذا القرن ، حيال التنبؤ الجريء للمستشرق الالماني « مارتن هارتمن » حول نشوء امة عربية جديدة وتوقع قيامها وتدعيمها أثر احداث ١٩٠٨/٧/٢٤ ـ الدستور العثماني ـ وقوله بان طريقا طويلة ماتزال تفصلها عن نشوء (الامة) غير آراءه مع تطور الزمن وانتقل الى التعبير عن تعاضده مع الشعوب الفتية المكافحة من اجل حريتها . ونحن لانستغرب أبداً تغيير موقفه هذا بعد ماعاصر هذه الفترة من تاريخ المنطقة وتتبع كيف غزت قوى الاستعمار الاوروبية في القرن الماضي أراضي آسيا وافريقيا وثبتت نفسها فيها ، وكيف بدأت تقتسم الشرق بعد الحرب العالمية الاولى ، وشهد انتفاضة الشعوب المتعطشة للحرية ضد الدولة العثمانية الاقطاعية الاستبدادية ، وكيف تحاول هذه الشعوب ان ترفع عن كاهلها نير الاحتلال الاجنبي وقد برزت قوة ادانته لسياسة الاستعمار اللصوصية ومقدار تأييده لكفاح الشعوب الفتية في كتابه هذا الذي ترجم الى اللغة العربية . وقد شجب في هذا الكتاب السياسة الاستعمارية في مصر التي حرصت على ضمان مصالحها ولم تحرك ساكناً من أجل رفع مستوى حياة المصريين المادية والفكرية . ومجد سعد زغلول الذي : « **يعود الفضل اليه بالدرجة الأولى في نهضة المصريين ووعيهم حقهم في تقرير المصير بعد آلاف السنين من عبودية المتسلطين من المصريين الأجانب واليه يدين الشعب المصري بعرفان الجميل لما قدمه من أعمال وتضحيات شخصية** » كما انه تحدث باكبار عن انتشار الوعي الوطني في سورية والشعور المتنامي بوحدة العرب ضد الاسياد الاتراك . ويلفت بروكلمان انظار قارئيه الى مصر التي ظلت منذ عصر النهضة العربية وحتى قرن ونصف خلت تلعب دورا موجها للشرق الادنى برمته بعد ان امتلكت ناحية الادب والثقافة ، وكتب بروكلمان متنبئا : « **ان زعامة مصر الثقافية المسلم بها منذ عهد طويل .. ستنمو مع تزايد اعتبارها السياسي وتحقق تحررها من وصاية أوربة الفكرية** ».

ان مايتمتع به بروكلمان من تقدير رفيع في العالم العربي يعود الى موقفه الصدوق النبيل من الشعوب العربية وحركاتها التحررية .

لقد نمت هذه الصداقة تجاه العالم العربي وحاملي لواء الثقافة الاسلامية على اساس موقف انساني وفكري عميق ، واستنادا لمعرفة عميقة للقيم الفكرية والثقافية التي انتقلت من الشرق لاوربة ولما مارسته العلوم الطبيعية والطب والرياضيات والفلسفة الشرقية في اوروبا من تأثير كبير وفعال وقال بروكلمان « **لم ينعش الشرق باكورة حياتنا الفكرية وتطورها في العصور الوسطى فحسب بل حركها ولقحها دائما وباستمرار حتى عتبة تاريخنا الحديث** ».

كان موقف بروكلمان الفكري والانســـاني مطابقا لموقفه من علم الاستشراق . فلم ينظر لعلم الاستشراق من خلال مطامح سياسية أو اقتصادية وانما حدته لذلك مثل انسانية صادقة . وقد كتب بعد الحرب العالمية الاولى بهذا الخصوص مايلي :

«لقد أصبح علم الاستشراق بالنسبة لنا كما كان بالنسبة لاسلافنا مؤسسي جمعيتنا — المقصود الجمعية الألمانية لشؤون الشرق — **احدى أبهى زهرات المدينة تعبيرا عن الثقافة الانسانية المنزهة عن أي دافع مادي ، وطموحاً لتفسير تاريخ بني جنسنا . ليس لدينا بعد ، طلائع مستثمرين اقتصاديين لنرسلهم الى الشرق ومانسعى اليه هو مجرد العناية بكافة أهدافنا العلمية المشجعة لعلاقات انسانية طيبة »** .

ويصل بروكلمان هنا الى رسالة العلم والعلماء كواسطة للتفاهم بين الشعوب ، ويعبر في هـذا المجال عن آماله بمساهمة العلم في تعايش افضل بين الشعوب عندما يقول : **«اننا نعيش مع الأمل الاكيد ، بأن عملنا الهادىء سيحمل أينع الثمرات وسوف يساهم أجل المساهمة بهدم حواجز الحسد والبغضاء بين الشعوب »** .

ان مؤلفات بروكلمان وتفكيره وطموحه الانسانيين ترسم في أذهاننا صورة عنه كعالم وباحثة . ولكن هذا لايكفي لمعرفة بروكلمان حق المعرفة فهذه الصورة الاولى لابد لها من أن تتكامل لصورة المعلم الأكاديمي والصديق الأبوي لأجيال من العلماء . فقد الفى بروكلمان خلال مايزيد عن نصف قرن من حياته الجامعية محاضرات في مختلف مجالات العلوم الشرقية وفي مواضيع بعيدة عن مجال بحثه كالفارسية والأكادية والقبطية والأرمنية .

وكما كان بروكلمان لسنين طويلة وفيا لمعلميه ، يراسلهم ويتبـــادل الرأي معهم حول مختلف المواضيع العلمية ، كذلك بقي تلامذته الكثيرون على صلة وثيقة معه ، لايفوتون مناسبة للكتابة اليه لكي يطلعوه على نجاحاتهم وعلى مايســـاورهم من مخاوف . ولم يدع بروكلمان رسالة دون أن يجيب على كل ماورد فيها من أسئلة بأسهاب ، مقدما النصح والمساعدة .

لقد اتيحت لي فرصة الاطلاع على مجموعة رسائل بروكلمان وذلك بفضل مساعدة زوجته الودية . وتبين لي أن هناك شيئاً واحداً مشتركا يجمع بين هذه الرسائل التي كتبت اليه . وهـذا الشيء هو : العرفان بالجميل . ومما كتبه أحـد تلامذته : « أنت معلمنا ومثلنا الأعلى الذي نحتذي به . هذا مانقوله لتلامذتنا الذين لم يسعفهم الحظ للتعرف اليكم شخصيا » . وكتب آخر يقول : « ويجب أن أقول لـكم ، انكم كنتم دوما الى جانبي ، ولا أستطيع نسيان مساعدتكم . انكم حقا مثال المرشد والمعلم اللامع . » ويعبر ثالث عن امتنانه بقوله : « رجائي أن تعلموني دون تردد عن أية خدمة أستطيع اسداءها لكم . ولن يكون ذلك الا بعضا من الوفاء للمساعدة اليومية التي نحظى بها جميعاً . وسنبقى مدينين لكم

حتى ولو اقتصرت جهودكم على (تاريخ الأدب العربي) » . وتفوح من هذه الرسائل رائحة الثقة والعرفان بالجميل . ويطلب البعض منه صورة شخصية وآخرون يتمنون أن يركعوا أمامـــه ليتلقوا العلم ثانية بين يديه . كذلك توجه اليه كثير من العلماء من غير تلامذته طالبين منه المشورة والمعرفة وكلهم ثقة به . وكان يطلب منه أكثر من أي شخص آخر المساعدة في حل المعضلات التي تواجههم ، لأنه يتمتع بفكر واسع وأحاط بدقائق مجالات اختصاصه . وتتبع بروكلمان بانتباه زائد كافة الابحاث العلمية داخل البلاد وخارجها ورتب نتائجها ، مبينا بدقة المشاكل التي اوضحتها هذه الأبحاث والتي مازالت قيد البحث ، تماما كما فعل في توضيح مسهب للعلوم السامية في سنة ١٩٤٣ .

لقد عرف بروكلمان أن التقدم ـ بغض النظر عن المجال الذي يحدث فيه ـ لايتحقق بالعزلة الجدباء ، وانما بالتبادل المثمر . وهكذا عمل على تبادل الرسائل مع كافة مستشرقي العالم المرموقين تقريبا . وناقش معهم من خلال هذه الرسائل مسائل علمية مختلفة ، وأجاب بالتفصيل على كل ماورد من أسئلة تتعلق بمجالات بحثه او لها بعض الصلة بها . وكان يتمتع برجحان الرأي ، فدعي غير مرة ليفصل في جدل علمي حاد . وربطته مع زملائه من المستشرقين الألمان رابطة العضوية في (الجمعية الالمانية لشؤون الشرق) . فرفع من شأنها وشارك في اصدار مجلتها . وأسف بروكلمان لتقسيم المانيا الذي أضر أيضا بوحدة علم الاستشراق الالماني . وبرغم من ضيق وقته أقام عن طريق مراسلاته العلمية علاقات واسعة جدا مع دور النشر والصحافة المختلفة . كما طلب مساعدته مجلات تصدر في الشرق ، نذكر منها على سبيل المثال صحيفة « الباكستان ريفيو » الصادرة في كراتشي ومجلة « الأدب الاسلامي » الصادرة في لاهور ومجلة « الحديث » الصادرة في حلب ، وقد أرادت هذه نشر سيرة حيـاته وآثاره ، وكذلك عرفته مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق كمؤلف لها . وعندما دعته دور النشر الكثيرة للكتابة حول مواضيع قريبة من اختصاصه ، لم يرفض ذلك الا فيما ندر . وانه لمن المؤسف حقا ان معظم كتاباته ظهرت في صحف مختلفة ممـــا أصبح من الصعب تناولها وحصرها .

لم يبخل بروكلمان في تكريم أحـــد البحاثة المعتبرين مع انه لم يحظ في يوم من الايام بمثل هذا التكريم ولم يتوان في تقديم كتاب لأحد العلماء المشهورين وخاصة عندما يريد له الانتشار بشـكل واسع . وقد توجهت اكاديمية العلوم الالمانيـة وسكرتارية الدولة لشؤون التعليم العالي اليه في عام ١٩٥٢ ورجتاه المساهمة النشيطة لتكريم العلامة البارز والفيلسوف ابن سينا الذي صادفت ذكرى ميلاده الالفي في ذلك العام كما طلب منه « الاتحاد الثقافي للتجديد الديموقراطي في المانيا » القاء كلمة في نفس المناسبة عن حياة واعمال الطبيب الكبير واعطاء لمحة شاملة عن الثقافـة المزدهرة في الدولة العربية القديمة . وقد ابدى بروكلمان استعداده في كل هذه المناسبات برحابة

صدر . لقد وعى بروكلمان مهمته كعالم فكان يرى بأن كل ماتوصل اليه من نتائج علمية في اي مجال من المجالات يجب ان ينشر للجميع . وتشهد على ذلك كتبه في التاريخ وتاريخ الادب التي كتبت بلغة سهلة المنال . وكثيرا ما كان بروكلمان يدعى لالقاء محاضرات علمية او تعليمية . وقد تلقى بروكلمان في عام ١٩٤٤ دعوة من استنبول وفي عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ قام بجولات لالقاء محاضرات في هامبورغ وميونيخ ، حيث اعجب مستمعوه بحيويته الجسمية والذهنية وكان قد جاوز الثمانين من العمر . وكتب اليه رئيس الاكاديمية السكسونية للعلوم رسالة تعقيبا على محاضرة القاها وهو في الثانية والثمانين من العمر في هذه الاكاديمية يقول : « عندما تكلمتم قبل فترة في هذه الاكاديمية شعرنا جميعا باننا نقف امام فتى لاحدود لتحليقه »

وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها فقد بروكلمان كل ما كان يملكه من ثروة في « برسلاو » حتى معاشة التقاعدي . وهكذا اضطر في سبيل كسب معاشه ان يعمل امينا لمكتبة « الجمعية الالمانية لشؤون الشرق » لمدة سنة . قبل ان يعهد اليه بعمل تعليمي ومن ثم بتكليف بكرسي تعليم السامية وابحاث التركية في جامعته القديمة هاله . ووصله في نفس الوقت تقريباً أي في عام ١٩٤٨ عرض من الحكومة السورية للحضور الى دمشق واستلام ادارة المكتبة الظاهرية فيها . وقد كتب في رسالة له الى البروفسور « كرنكوف » تعليقا على ذلك يقول فيه : لو كنت اصغر سنا بعشر سنوات لكنت قبلت هذه الدعوة المشرفة ـ وكان وقتها في الثمانين من العمر . وعلى الرغم من ذلك أبدى استعداده لقبول هذا المنصب ، اذا قبلوا في دمشق بخدماته أثناء النصف البارد من السنة فقط . ولقد رغب بروكلمان في قبول هذا الاقتراح امكانية الاتصال مع محدامين ومساعديه اعضاء اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية الذين كانوا يعملون وقتها على ترجمة كتابه « تاريخ الأدب العربي » . ان مثل هذا الاتصال من دمشق سيكون أفضل وأسهل منه من مدينة هاله . ولكن هذا المشروع لم يتحقق .

في عام ١٩٥٣ أعفي بروكلمان من منصبه للمرة الثانية ولكنه تابع تدريس الأكادية والسريانية والتركية بتكليف خاص كان يجدد سنويا حتى عام ١٩٥٥ .

ان أينع ثمرات عمله العلمي في هذه الفترة كتاب « قواعد اللغة التركية الشرقية » الذي تحدثنا عنه قبل قليل وكتاب « علم النحو في اللغة العبرية » ومقال « حول أزمنة اللغات السامية » . وفي الاعوام التي تلت عام ١٩٤٥ دلل كارل بروكلمان على انه استاذ جامعة وبحاثة لايكل ووضع على الرغم من تقدمه في السن قوته التي لاتقهر في خدمة المانيا جديدة ومن اجل علم تقدمي يدفع الى حياة جديدة .

وبمناسبة تجديد مدة خدمته في عام ١٩٥٢ ، اكبر سكرتير الدولة لشؤون التعليم العالي في جمهورية المانيا الديموقراطية خدماته وجهوده التي

قام بها « خلال عمـــله العليمي وبحثه العلمي ومساهمته في تطوير علم المانى تقدمي » وشكره باسم حكومة الجمهورية الديموقراطية الالمانية على هذه الخدمات . وفي العام التالي عين بروكلمان رئيسا للجنة الاستشراق العلمية الاستشارية لدى سكرتارية الدولة لشؤون التعليم العالي في جمهورية المانيا الديموقراطية ليقدم مشورته حول جميع المسائل المتعلقة بالتعليم والابحاث الخاصة بالاستشراق.

وقد جاء في كتاب تسميته : « ان تعيينكم هذا انما جاء تقديرا للعمل الذي قمتم به حتى الآن في ميدان الاستشراق ، واقتناعا بانكم ستفيدون بوعي ومسؤولية وبخبرتكم الفنية ، اللجنة العلمية الاستشارية لشؤون الاستشراق بهدف تشجيع وتطوير هذا الفرع الذي تختصون به » . وقد حقق كارل بروكلمان في هذا المنصب كما هو حاله في بقية المناصب التي تقلدها في حياته الآمال التي عقدت عليه والثقة التي وضعت فيه ، ووضع مع زملائه بوعي ومسؤولية كاملة اسس النهضة التي تمت في ميدان الاستشراق في المانيا الديموقراطية.

في السنوات الاخيرة جاء في الفهرس، الذي نشره البروفسور فوك حول مؤلفات بروكلمان ذكر حوالي ٤٠ كتابا و ١٠٠ مقالة و ٤٠٠ نقد ادبي . وعلاوة على هذا التراث الادبي كان بروكلمـــان من انشط العاملين في كتابة « الانسيكلوبيديا الاسلامية » التي أسهم في طبعتها الجديدة بقلمه حتى المجلد التاسع .

ما الذي أهل هذا الرجل للقيام بأنجاز هذا العمل العظيم ؟ ثمة ثلاثة اشياء : موهبته اللغوية وذاكرته الفذة وفهمه الدقيق والمنطقي . لقد كان قادراً على استيعاب نتائج الابحاث الاجنبية ومقارنتها بما توصل اليه هو من نتائج وصهرها بسرعة وفهم في كل متكامل وتسطيرها على الورق مسودة جاهزة للطبع فوراً . وهكـــذا بدا كما جاء في احدى الرسائل الموجهة اليه وكأنه كان ينثر افكاره نثراً . ونلاحظ على الهامش بأن افكاره كانت تسبق ريشته عندما يكتب وكانت النتيجة خطأ غير مقروء بحيث انه لم يستطع فك طلاسم خطه الخاص في بعض الاحيان ، ممـا دفع احد الناشرين الى القول « ان افضل مصففي الأحرف في اوروبا لايستطيعون فك رموز خطه. وأضاف الى هذه الاشياء الثلاثة هنـــاك جده ونشاطه الكبير . فمنذ أيام الدراسة في ستراسبورغ منحه « استـــاذ الاساتذة » تيودور نولدكه « تقديراً » بسبب اجتهاده في دراسة العربية والسريانية وكتب على هـذا التقدير بخط يده : لو كانت هناك علامة فوق الواحـد لاستحقها . ووصفه استاذه في ميدان السنسكريتية والمصرية القديمة بأنه مجتهد ممتاز .

ولم تستطع الصعوبات ان تحرف بروكلمان عن الهدف ، لقد كان بروكلمان يسعى وراء الهدف الذي وضعه لنفسه دون ملل . ولم تكن الصعوبات لتحرفه عن هذا الهدف . وغالباً مالم يستطع الحصول على الكتب الهامة من البلدان الاجنبية لان بلاده لم تكن تملك القطع النادر

لذلك . وفي بعض الأحيان لم يستطع المشـاركة في المؤتمرات العلمية . وفي الحربين العالميتين فقد ممتلكاته وكان هذا مريراً بالنسبة اليه . ولكنه حافظ على قوته وشجاعته رغم كل المصـــاعب والمظالم . ان ملامح بروكلمان تتسم بمؤلفاته التي تشغل بحد ذاتها مرحلة كاملة ولم يكن بالامكان انجاز هذه المؤلفات الا بتركيب ناجـح قوامه موهبة غنية ونشاط ومثابرة وطموح .

لقد كرم بروكلمان في حياته كثيراً ، فكان عضواً عاملا في « اكاديمية العلوم السكسونية »، وعضواً عاملا في اكاديميات برلين ، بودابست ، كوتبرغ ، ابسالا ، وعضو شرف في « المجمع العلمي العربي بدمشق » ، وفي الجمعية الالمانية لشؤون الشرق، و « المؤسسة الآسيوية الملكية » و « الجمعية الآسيوية » و « جمعية للغات بأمريكا » و « جمعية الاورال — التاي » ، ونال عام ١٩٥١ الجائزة الوطنية من الدرجة الاولى وهي اعلى وسام يمنح في الجمهورية الديموقراطية الالمانية، وكان ذلك تقديراً لاعماله العلمية الفذة في ميدان اللغة التركية والادب العربي .